

الْعِبَرَةُ

في حكم الهجرة

تأليف فخر أهل الشرف والمجد ، في ذراري حضرة جده صاحب اليد
مولانا العالم العلامة ، والبحر العذب الفهامة ، المرشد الكامل ، المتحلي بأزكى الخصائل
صاحب السيادة والسماحة ، السيد محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي
قدس الله سره ورضي الله عنه

بتوجيهات مدير الدائرتين ، ومهمة القائم في الرحبين
ونائب الأقطاب الوراث ، أبناء الإمام أبي العلمين
القائم بنشر العلم والحال المحمدي ، ورافع لواء الطريق الرفاعي الأحدي
سيدي صاحب الفضيلة الشيخ محمود عبد الرحمن الشقفة حفظه الله وأيد به الاسلام والمسلمين

عني بكتابتها وتحقيقها وترتيب جمعها ، واكرم بتصحيحها والإشراف على سير طبعها
طفيلي مائدة الآل ، والمستشرف بأعتابهم عند نواجرهم لخدمة النعال
أفقر الوري ، وأحققر من ترى

عبد الحكيم بن سليم عبد الباسط

السقباني دمشقي غفر الله له ولوالديه ولأشباخه والمسلمين

الطبعة الأولى سنة ١٣٨٩ هجرية

على نفقة جامعها وأخيه في الله المحسن الفاضل الحاج محيي الدين غنام أحسن الله للجميع الختام

توزع مجاناً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لاني بعده وعلى آله وصحبه

وأشياعه وحزبه .

أما بعد فقد سألتني بعض الإخوان ، أصلح الله لي ولهم الشأن أن

أكتب شيئاً في حكمة هجرة روح الوجودات ، وعلة هذه الذرات ،

وسيد السادات ، نينا ونور قلوبنا وسيدنا ومولانا محمد عليه من ربه

أفضل الصلوات والتسليمات ، وعلى إخوانه النيين والمرسلين وآل كل

وصحب كل أجمعين فأجبتة لذلك خدمة للجناب النبوي الرفيع ، والمقام

الأقدس المحمدي المنيع ، وحررت هذه الرسالة الصغيرة ، المشتملة

على كبير المعاني الوفيرة ، وسميتها (العبرة في حكم الهجرة) فيها إن

شاء الله لمحي الحضرة المحمدية قرّة عين ، حيث أنها بارقة نور مصطفى

لا شك يدفع عن العين الغين .

المهاجرة المتاركة ، والهجر ضد الوصل ، والاسم الهجرة ، والمهاجرة

من أرض إلى أرض ترك الأولى والالتحاق بالثانية ، وفي الخبر

« هاجروا ولا تهجروا » أي تاركوا ولا تقولوا هُجراً والهُجر بضم
الهاء التكلم بما يوجب الاثم وهو من الالهجار والالهجار القول الفاحش
الذي يتضمن الخنا وقول القائل : قول فلان مهجور أي باطل والهجرة
بفتح الهاء الخطب بالهذيان من الكلام ، والتهاجر التقاطع ، والهجرة
بالكسر وإن تضمنت الرحلة من أرض إلى أرض إلا أن حكم
الوضع المفهوم من قوله ﷺ كما في الصحيح « إنما الأعمال بالنيات
وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى
الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته
إلى ما هاجر إليه » يفيد أن الهجرة هجر المقر ، وأن يجعل بهجره إلى
الله المقر ، فيكون هجر الوطن لله ، والخروج منه لله ، والاستقرار
في المكان المهاجر إليه لله ، ومن المعلوم أن أصعب الأحوال على النفس
الهجرة بعد قتل المرء نفسه ، وهذه الهجرة الصعبة بمعنى ترك الديار
بالاجبار ولذلك فإنها إن كانت لغير الله تعالى لا تكون هجرة شاملة
للمعنى الموضوع للهجرة النبي ﷺ وأصحابه وأهل الحق من أتباعه
بل تكون محنة وفتنة وإن كانت لله جلّت قدرته خالصة فهي الهجرة
الموضوع لها ذلك المعنى الكريم لأن المهاجر لله يجعل الله تعالى
عوضاً عن كل شيء كما قال سيدنا الامام الرفاعي رضي الله تعالى عنه :
لكل شيء إذا فارقه عوض وليس لله إن فارقت من عوض

والمهاجر كالمصابر ، وقيل له مهاجراً للمبالغة في هجر الوطن وتركه
لأجل الله ، وقد كانت هجرة الحبيب الأعظم ﷺ إلى (المدينة
المنورة) مبنية على حكم جليلة ، وأسرار جزيلة ، وقد يطيب للخاطر
ذكر شيء من أسرار تلك الحكم المحمدية ، التي بُنيت عليها الهجرة
الشريفة النبوية ، فبحكم النظر من تلك الحكم أن الله تعالى جعل هجرة
حبيبه عليه أفضل الصلاة والسلام باباً يدخل منه كل من ينتصر لله ،
ويضيق عليه خناقه في الله ، فيهاجر إلى الله ، ويدعو لأمر الله ،
لينفتح رتق الأذهان التي لم يخامرها حسد ولا منافسة وطن أو أهل
وقبيلة ، ولا يثيرها غرض يدفعها عن قبول الحق ، وبقوة أرباب تلك
الأذهان المنفتحة بفتاى الحكمة الباهرة يردّ عجز الأمر على صدره ،
وينصر الحق بالعودة إلى المقرّ الأول قوياً بحزب الله ، بعد أن خرج
ضعيفاً متوكلاً على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ومنها أن يتجرد
المنتصر لله بنفسه غير متكل على الأعوان والأنصار ، متدباً لنصرة
الحق ، بقوة الحق ، فتكون له الغلبة على من خالفه نظراً بالحق لا بالجند
ثم بعد تقرير الحق نظراً ينصر الله تعالى الحق بأهله ؛ وهذه حكمة
جليلة ينبغي التنبيه إليها ، والتعويل عليها ، ومنها أن يترك أمره في الله
فلا يختار لنفسه ولو رفع زمام ناقته وتحويلها عن سيرها حتى يكون
الذي يختار له هو الله سبحانه ، وهناك فيكون وليّ أمره هو الله

لا غيره ؛ ومنها أن يلوي عنان العزم عن الميل إلى كبار القوم ، وذوي
الشوكة والغنى انتصاراً بشوكة الحق ، ويقف مع الفقر وأهله لكي
لا يفوه أولوا الأغراض بالزور فيقول قائلهم : قام أمره بشوكة بني
فلان . فحينئذ تصغر مزية حقه ؛ ومنها أن يُشيد بهجرته مجداً في الله
لم يكن ملتصقاً بمجد آخر يتوهم التصاقه به في داره الأولى ؛ ومنها أن
لا يقيد همته بقوة ومنعة تنصره قبل أن يبرز سر نصر الله تعالى ،
ويتوطد حقه في القلوب وهنالك يكون المنتصر له خادماً معيناً له في
الحق ولذي الحق عليه المنّة ؛ ومنها أن يستخلف مكانه إن وجد سيلاً
لذلك ولياً من ذويه المندمجين في عصبته وذلك ليبقى في مكانه الأول
أثراً في قلوب أعدائه تستيقنه قلوبهم ولو جحدته ألسنتهم ؛ ومنها أن
يصحب معه إن وجد أيضاً إلى ذلك سيلاً أصدق الناس له ، وأقربهم
لديه ، وأشفقهم قلباً عليه ، فيكون ذلك صاحب لوحاً تقرأه عيون
ناظريه فتتهدي بحاله إلى الحق وفي هذه الحكمة نتيجة معنى رشيق وهو
بروز حال القرين بالقرين من معنى قول بعضهم :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

وكل هذه الحكم الشريفة وفوقها مما لا يعد اجتماع بالهجرة النبوية

على صاحبها ألف صلاة ، وألف سلام ، وألف تحية وقد قلت
في المعنى :

لقد هاجر الهادي وأبقى ابن عمه	ليبقى له في قلب أعدائه أثر
وفي هجر دار ضييع الحق أهلها	لقد أُرشد الهادين من خلدص البشر
ليفتق أرتاقاً لأذهان أمّة	إذا أبصروا الحق اهتدوا رغم من كفر
فيرجع بالأنصار من زُهر حزبه	لحضرتة الأولى ويفحم من فجر
ومذقاً من بطن الديار مجرداً	كسيف صقيل هزه يخطف البصر
يريد انجلاء الحق بالحق غالباً	بحق يرى استدلاله وافق النظر
وفي تركه كل الأمور لربه	دليل على التفويض للحكم والقدر
وناقته لم يلوها بعنائها	لآيات قوم شأنهم شاع واشتهر
وقد صحب الصديق حامل سره	ليعلمهم بالنجم طالعة القمر
وهجرته لله والنص قد حكي	حقيقتها يرويه صاحبه عمر
وشيد مجداً في (المدينة) . شاده	بمكة ابراهيم والنص معتبر
وعاد بحزب الله يلوي لمكة الص	فوف وأعلاه المعين وقد نصر
فذي حكم تجلو من الهجرة السنا	محت ظلمة البهتان والحق قد ظهر

وتدبر أيها اللبيب فإن جناب الحبيب عليه أشرف صلوات القريب
المجيب كان لما وصل (المدينة) كلما مر على دار من دور الأنصار دعوه الى

المقام عندهم فقالوا يا رسول الله: هلم إلى القوة والمنعة. فيقول « خلوا
سبيلها فإنها مأمورة » وأرعى زمامها وما يحركها وهي تنظر يمينا
وشمالا حتى إذا أتت دار مالك بن النجار بركت هناك في محل هو لسهل
وسهيل إبن رافع بن عمرو هما يتيمان في حجر معاذ بن عفراء ، ثم
ثارت منه والنبي ﷺ عليها حتى بركت على باب أبي أيوب الأنصاري
رضي الله عنه ثم ثارت منه وبركت في مبركها الأول وألقت جيرانها
(يعني باطن عنقها بالارض) وصوتت من غير أن تفتح فهاها فنزل
عنها وقال « هذا المنزل إن شاء الله تعالى » وكانت دار بني النجار
أوسط دور الأنصار وأفضلها وهم أخوال عبد المطلب ، وبعد سبعة
أشهر من قدومه إلى (المدينة المنورة) اشترى عليه الصلاة والسلام
حائط بني النجار بعشرة دنانير عدّها من مال سيدنا أبي بكر الصديق
رضي الله عنه بعد تمتع منهم عن أخذ الثمن ، فبنى هناك المسجد
الشريف وجعل قبلته إلى بيت المقدس ، وجعل له ثلاثة أبواب في
مؤخره ، وباب الرحمة ، وباب يدخل منه ، وطول المسجد من القبلة
إلى مؤخره مائة ذراع وكذا في الجانبين ، فكانت هذه الهجرة الطيبة
النبوية باب الأمن والإيمان ، ومطلع شمس العز للمسلمين في الاكوان ،
حيث أنها لله ، فتولى أمرها الله .

وتدبر أيها اللبيب مقاصد الحبيب ﷺ ترى أنه صاغه الله من عقل
وعلم وحكمة ، ورفعة شأن ، وعلو همة ، وقوة حزم ، وصحيح رأي ،
ونير فراسة ، وجلالة قدر ، ومتين عزم ، ورحيم قلب ، وجمع
فيه ﷺ ما تفرق في إخوانه النبيين والمرسلين - عليهم
صلوات رب العالمين - من الفضائل وكريم الخصال ، وشريف الشرائع
فهو الجامع لمحاسنهم ، المقدم في صفهم ، الخاتم لحفلةهم ، القائم بتأييد
دولتهم ، المستجمع بحكمة شريعته جميع أحكام شرائعهم صلى الله تعالى
عليه وعليهم أجمعين .

والهجرة من آداب النبيين والمرسلين - صلوات الله عليهم - هجروا
أوطانهم ، وقاموا بعد الراحة في أفئدتهم إلى الهجير ، فأخذوا حظهم من
آداب الهجرة بتعب ونصب ، وقام أكرمهم وأعقلهم وأعلمهم بالله ،
وأفضلهم نبينا المعظم ﷺ واستجمع في هجرته لله هجر كل ما لم
يكن لله من قول وعمل ، وحكم وأدب ، وطور وحال ، وقد حوّل
بأمر الله تعالى في العام الثاني من الهجرة القبلة إلى البيت الحرام ، ثم
قعد لله وقام ، وحج واعتمر وصام ، وملا الأرض بدين الإسلام ،
وبذكر الملك العلام ، وأيد العدل ، ومحا الظلم ، وساوى بين الأشراف
في الحق والضعاف ، وأخرج الله بصحبته السعيدة أمة جافية من

الظلمات الى النور ، فانبلج منها أناس كلهم كالبدور ، وتبعه السعداء ،
وتأدب بأدابه الأصفياء والأولياء والأتقياء ، فهو سيد المهاجرين
في الله الى الله .

ولله در شيخنا وملاذنا قطب الزمان الغوث الكبير السيد محمد
بهاء الدين مهدي الصيادي الرواس رضي الله عنه فإنه قال :

روحي فداء مهاجر هجر الرخا	والدار لم يعبأ بجر هجير
ظنوه مهجور الطريقة فانبرا	اعدائوه للهجر بالتقرير
أغضى كريماً عالماً ما صانه	لجنابه المولى عطاء قدير
ترك العناد لأهله في مكة	وسرى ليثرب واثقاً بنصير
فأعزّه الباري وأيد دينه	فأتى بصبح بالنجاح منير
وأعاده لبطاح مكة غالباً	اهل الفساد بسابق التقدير
نصر المحق وخذل جاحد حقه	شأن على الرحمن غير عسير

وقد قيل الهجرة فرجة يتخذها المحق سلماً للوصول للحق، وعند
النظرين نصف التدبير ، للخروج من مضيق الأمر العسير لأنها ترفع
بالهمة الخاملة ، وتعطي النظر عبرة ، والرأي فكرة ، وتصلح الخيال
الكليل فيتسع مجاله ، وتوقف جموح الرأي عما لا يصلح اعماله، وتجمع

الخاطر بعد شتاته ، وتنقي الفكر من آفاته ، وتحضر غائب الفتوة ،
وتهز نائم المروءة ، هذا إذا كانت الفطرة علية ، والفكرة كلية ،
وإذا كانت الفطرة سامية ، والفكرة عالية ، وكان العبد ملحوظاً بعين
العناية ، مشمولاً بسر الصون والوقاية ، مؤيداً بتأييد الله ، منصوراً
بجند الله ، فهناك تكون له الهجرة سلاحاً ربانياً ، ونجاحاً صمدانياً ،
وقد انتهت المفاخر في الباطن والظاهر ، وبكل شأن خفي وجلي ،
معنوي أو عياني ، دنيوي أو أخروي ، عرفي أو عقلي ، نظري أو
شرعي لسيد المهاجرين ، حبيب رب العالمين ، أمين الله ونعم الأمين ،
محمد النبيين ، أحمد المرسلين صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه
الطاهرين اجمعين .

فلهذا هجرته واضحة الفائدة ، كثيرة البركة ، جليلة النتيجة ، عظيمة
المنفعة ، ولم تكن لخويصة نفسه الكريمة بل هي لكل الذرات
الكونية ، والعوالم الإمكانية ، يعرف ذلك أهل العرفان الصادق والحق
المبين ، وكفاك شاهداً قول الله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)
هذا ما فتح به في هذا الباب ، وإلى الله المرجع والمآب ، هو وهاب
الجزيل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . آمين